الجامعة المستنصرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

(جعل) بين الدلالة النحوية والدلالة القرآنية

د. لطيفة عبد الرسول عبد

بسم الله الرحمن الرحيم

درس النحاة الفعل (جعل) إما في (أفعال القلوب) أو في موضوع (أفعال التحويل) أو فيهما معاً، فيجعلونه من الأفعال التي تنصب مفعولين ويتحركون في دائرة المفعولية، ولا يخرجون عن محيطها إلا نادراً، وهم في عملهم هذا إنما ينطلقون من مركز الدائرة الكبرى التي تضم مباحث كثيرة في دائرة ما يسمّى (الأفعال الناسخة) للمبتدأ والخبر أو الأفعال التي تدخل على المبتدأ والخبر فتنصبهما مفعولين، وكلام النحويين على الفعل (جعل) لا يكاد يتعدى التمثيل له مرة في أفعال القلوب تارةً، وفي أفعال التحويل تارةً أخرى إلا ما ورد عن الاعلم الشنتمري والأشموني. ومن النحاة من أهمل ذكره وخلاصة القول ان النحاة في ذكر الفعل (جعل) وعدم ذكره على أربعة أقسام:

الأول: ذكره في أفعال القلوب، وأفعال التحويل.

الثاني: ذكره في أفعال التحويل فقط كما ورد لدى ابن عصفور في المقرّب.

الثالث: ذكره استطراداً كما فعل سيبويه ومن بعده المبرد.

الرابع: أهمل ذكره وهم أبو علي الفارسي في الإيضاح وتابعه عبد القادر الجرجاني الذي شرح كتابه وسمّاه المقتصد في شرح الإيضاح، وكذا الزجاجي في الجمل وتابعه ابن عصفور في شرح الجمل فضلاً عن الزمخشري في المفصل وتابعه ابن يعيش حينما شرح المفصل... أما النحاة الذين درسوا الفعل (جعل) فهم:

سيبويه: والغريب أنه لم يذكره في باب (ظن وأخواتها) أو ما سمّاه هو (باب الأفعال التي تستعمل وتلغى)[١] وإنما ذكره استطراداً في باب (الفعل الذي يستعمل في الاسم، ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل كما عمل الأول)[٢]. قال سيبويه: ((تقول: جعلت متاعك بعضه فوق بعض، فله ثلاثة أوجه: في النصب: إن شئت جعلت (فوق) في موضع الحال، كأنه قال:

(١) الكتاب: ١١٨/١.

(٢) الكتاب: ١٥٠/١.

عملت متاعك، وهو بعضه على بعض أي: في هذه الحال، وإن شئت نصبته على ما نصبت عليه: رأيت زيداً وجهه أحسن من وجه فلان... (تريد رؤية القلب) وإن شئت نصبته على أنك إذا قلت: جعلت متاعك يدخل فيه معنى ألقيت، فيصير كأنك ألقيت متاعك بعضه فوق بعض؛ لأن ألقيت كقولك: أسقطت متاعك بعضه على بعض، وهو مفعول من قولك: سقط متاعك بعضه على بعض، فجرى كما جرى صككتُ الحجرين أحدهما بالآخر، فقولك بالآخر: ليس في موضع اسم هو الأول ولكنه في موضع الاسم الآخر من قولك صل الحجران أحدهما الآخر ولكنك أوصلت الفعل بالباء، كما أن مررت بزيد الاسم منه في موضع اسم منصوب، ومثل هذا: طرحت المتاع بعضه على بعض؛ لأن معناه أسقطت فأجري مجراه، وإن لم يكن من لفظه فاعل، وتصديق ذلك قوله Y: (**وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ**) (الأنفال/٣٧) والوجه الثالث أن تجعله مثل: ظننت متاعك بعضه أحسن من بعض، والرفع أيضاً عربي كثير تقول: (جعلت متاعك بعضه على بعض، فوجه الرفع فيه على ما كان في رأيت))[1].

أما الاعلم الشنتمري الذي شرح كتاب سيبويه ونقل قول صاحب الكتاب مختصراً بعد أن بين دلالات هذا الفعل كما يراها هو[2]. فذكر أن عبارة (جعلت) تكون بمعنيين: أحدهما: بمعنى عملت، والآخر: بمعنى صيّرت فإذا كان بمعنى عملت تعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: (**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**) (الأنعام/١): وإذا كان بمعنى صيّرت تعدى إلى مفعولين لا يجوز الاقتصار على أحدها وهو بهذا المنحى يأتي على ثلاثة أوجه: أحدها: بمعنى سمّيت كقوله تعالى: (**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**) (الزخرف/١٩) أي: صيّروهم إناثاً بالقول والتسمية... والثاني: أن يكون بمعنى الظن أو التخيل كقولك: اجعل الأمير عاميا وكلمه أي: صيره في نفسك كذلك... والثالث: أن يكون بمعنى النقل كقوله تعالى: (**رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا**) (البقرة/١٢٦) أي: صيره بلداً آمناً... وبعد ما قدم لمعانٍ ودلالات هذا الفعل عاد إلى

---

(١) الكتاب: ١/١٥٦–١٥٧.

(٢) النكت في تفسير كتاب سيبويه: ١/٢٧٦.

شرح كلام سيبويه فوجد أن وجهين من الأوجه الثلاثة التي ذكرها سيبويه يرجعان إلى الوجه الأول (أي بمعنى عمل وخلق) فيتعدى إلى مفعول واحد ثم استدرك فقال: (غير أن معنى الوجهين اللذين ذكرهما مختلف، وإن اجتمعا في التعدي إلى واحد، فأحد الوجهين هو الأول الذي قال فيه: وإن شئت جعلت فوق في موضع الحال) والوجه الثاني من هذين الوجهين هو الثالث الذي يذكره سيبويه في قوله: (وإن شئت نصبته على أنك إذا قلت: جعلت متاعك، دخله معنى ألقيت متاعك بعضه فوق بعض، فيكون هذا متعدياً إلى مفعول فيوافق الوجه الأول في التعدي إلى مفعول واحد، ويخالفه في غير ذلك؛ لأنك لم تعمل المتاع هنا؛ لإصلاح شيء منه وتأثير فيه، كما تعمل الباب بنحره ونحته وقطعه و(فوق) في هذا كالمفعول، لا في موضع الحال؛ لأن جملة الفعل الذي هو ألقيت عمل فيه على طريق الظرف، وفي المسألة الأولى عمل فيه الاستقرار وصار في موضع الحال فهذان الوجهان كوجه واحد)[١]... هذا إذا كان معنى (جعل) عَمِلَ أو خلق فيأخذ مفعولاً واحداً أما إذا كان بمعنى صيّر، فيأخذ مفعولين وهو ما جاء في قول سيبويه: (وإن شئت نصبته على ما نصبت عليه: رأيت زيداً وجهه أحسن من وجه فلان، تريد رؤية القلب) وإذا كانت الرؤية قلبية أو فكرية تعدى الفعل (رأى) إلى مفعولين ولذلك قال الاعلم في شرح قول سيبويه (أي: فتعديه من جهة النقل والعمل جميعاً، كما تقول: صيّرت الطين خزفا، وإنما حملنا على هذا الوجه؛ لأنه في ذكر جعلت، الذي في معنى عملت)[٢]... أما الوجه الثالث للنصب الذي ذكره سيبويه بقوله: (أن تجعله مثل ظننت متاعك بعضَه أحسنَ من بعض) فقد شرحه الاعلم بقوله: (فهذا الوجه الذي ذكره في معنى التخيل والذي هو من طريق التسمية يشبه هذا الوجه إلا أنه لم يذكره اكتفاءً بهذا)[٣].

---

(١) النكت: ٢٧٦/١.

(٢) النكت: ٢٧٨/١.

(٣) النكت: ٢٧٨/١.

ونقل المبرد قول سعيد الفارقي في أن (جعلتُ) له تصرف في الكلام ودور في الأحكام، وهو على أربعة أحكام يجمعها أصلان:

أحدهما: أن تكون بمعنى صيّرت، فلا بد أن تتعدى إلى مفعولين. والآخر: أن تكون بمعنى (عملتُ وخلقتُ) وعندئذٍ لا تتعدى إلا إلى واحد.

فإن كانت بمعنى (صيّر) فأحد وجهيها في التعدي إلى مفعولين أن تكون بأثرة تصل إلى المجعول كقولك: جعلتُ الطينَ خزفاً، والخشبَ باباً، والورقَ كتاباً. وهي في هذا نظير (أعطيتُ) ويجوز فيها الاقتصار.

والآخر من التعدي إلى مفعولين أن يكون بغير أثرة، بل الحكم على الشيء أنّه صيّر كذلك، أو القول أنّه كذلك، نحو قولك: جعلتُ الرجلَ فاسقاً، وجعلتُ زيداً مؤمناً، وجعلتُ بكراً أميراً وعمراً وزيراً.

فإنما ذلك بالقول أنّه كذلك، والحكم أنّه كذلك، ونظير الأول قوله: (**وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**) (النبأ/٩-١١).

ونظير الوجه الآخر قول: (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**) (ص/٥) أي: حكموا بذلك وقالوه، فهذا لا أثرة فيه[١].

وذكر الفارسي أنّ (جعل) تأتي بمعنى (ألقى) فيتعدى إلى مفعولين، أحدهما بنفسه، والآخر: بحرف الجر كما في قولك: (جعلتُ متاعك بعضه فوق بعض)، وقوله تعالى: (**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ**) (الرعد/٣) بدليل قوله تعالى في الآية الأخرى التي علل فيها المراد بخلق الجبال وأبان أنعامه فقال: (**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**) (النحل/١٥)...)[٢].

وقال أبو جعفر النحاس تعليقاً على قوله جلّ شأنه: (**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً**) (يس/٨)

---

(١) ينظر المقتضب: ٤/٦٧-٦٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٤/٨٦.

((... وقيل: جعلنا بمعنى وصفنا أنهم كذا، وقد حكى سيبويه أنّ (جعل) تأتي في كلام العرب على هذا المعنى، وهو أحد أقواله في قولهم: جعلت متاعك بعضه فوق بعض.

وقوله Y: (**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**) الزخرف/١٩...))[1]

وذكر النحاس أيضاً ((أنّ العرب تفرق بين (جعل) إذا كانت بمعنى (خلق وبين جعل إذا لم تكن بمعنى (خلق)، فلا تعديها إلا إلى مفعولٍ واحدٍ، وإذا لم تكن بمعنى (خلق) عديتها إلى مفعولين نحو قوله Y: (**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**) الزخرف/٣...))[2].

وقد جعل الزمخشري المفعول الثاني متعدداً في اللفظ دون المعنى مثل: حلو حامض في قوله تعالى: (**فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ**) (الأنبياء/١٥).

((أي: جعلناهم مثل الحصيد، شبّههم به في استئصالهم واصطلاحهم كما تقول: جعلناهم رماداً أي: مثل الرماد، والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ، والمنصوبان بعده كانا خبرين له، فلما دخل عليهما (جعل) نصبهما جميعاً على المفعولية فإن قلت: كيف ينصب (جعل) ثلاثة مفاعيل؟

قلت: حكم الاثنين الآخرينِ حكم الواحد؛ لأنّ معنى قولك: جعلته حلواً حامضاً: أي: جعلته جامعاً للطعمين؛ وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود))[3].

ومن النحويين الذين ذكروا الفعل (جعل) ابن مالك في الألفية وقد تابعه شرّاح الألفية مثل: ابن عقيل والاشموني والسيوطي. فذكر الفعل مرة في باب ظن وأخواتها إذ يقول:

انصب بفعل القلب جزأي ابتدا   اعني رأى خال علمت وجدا

---

(١) معاني القرآن: ٢/١٠٠٨–١٠٠٩.

(٢) إعراب القرآن: ٤/٣٠.

(٣) الكشاف: ٣/١٠٦.

ظن حسبت وزعمت مع عبدا حجا درى وجعل الذي اعتقدا

وهب تعلم والتي كصيّرا أيضا بها انصب مبتدأ وخبرا

فالفعل (جعل) لدى ابن مالك له معنيان أو دلالتان: الأولى: أنه يأتي بمعنى (اعتقد) وقد أورد شرّاح الألفية قوله تعالى: (**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**) والثانية: إنّه يأتي بمعنى (صيّر) ومثّل له بقوله Y: (**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**) (الفرقان/٢٣).

أما أفعال القلوب فتقسم قسمين: الأول ما يدل على اليقين هي: رأى وعلم ووجد ودرى وتعلم... أما الثاني: ما يدل على الرجحان وهي: خال وحسب وظن وزعم وعدّ وحجا وجعل ووهب... وأما أفعال التحويل وهي المرادة بقول ابن مالك والتي كصيّر فهي: صيّر وجعل وهب واتخذ وترك ورد... أما الرجحان فقوله: (**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ**) وأما التحويل فمثال قوله: (**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**)... ولا بد من الإشارة هنا إلى أمر غاية في الأهمية وهو الفرق بين الاعتقاد والظن، فالظن قد يكون شكاً، وقد يكون يقيناً فمثال الأول قوله تعالى: (**وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا**) (الفتح/١٢).

ومثال دلالته على اليقين قوله تعالى: (**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا**) (الكهف/٥٣)... أما إذا أطلق الظن فيراد به الدلالة الأولى، ولا يدل على اليقين إلا بقرينة سياقية، أما الاعتقاد فهو التأكد والوثوق (اعتقد الإنسان الشيء بقلبه، إذا استوثق منه)[١] ولم يفرق شرّاح الألفية بين الدلالتين ودليلنا على ذلك أنهم يأتون به؛ للدلالة على الاعتقاد كما في قوله تعالى: (**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**) (البقرة/٢٢)... وأحياناً أخرى يأتون به للتدليل على معنى الظن كما في قوله تعالى: (**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ**)....

---

(١) اللسان (عقد).

وفي شرح الكافية الشافية أورده ابن مالك ملحقاً بباب الأفعال التي تنصب المبتدأ والخبر مفعولين، فقال:

أما ابن هشام فقد درس الفعل (جعل) مرة في أفعال القلوب وأخرى في أفعال التحويل، وكلا النوعين ينضم تحت لواء (الأفعال الداخلة – بعد استيفاء فاعلها – على المبتدأ والخبر فتنصبهما مفعولين)[1]... والأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر بهذه السمات نوعان: الأول: أفعال القلوب والثاني: أفعال التحويل وقد بين سبب تسميتها بأفعال القلوب بقوله: وإنما قيل لها ذلك؛ لأنّ معانيها قائمة بالقلب... ولكن... ليس كل فعل قلبي ينصب مفعولين، بل القلبي ثلاثة أنواع: ما لا يتعدى نحو: فكر، وما يتعدى لواحد نحو: عرف وفهِمَ وما يتعدى لاثنين وهو المراد في هذا السياق.

وقسم ابن هشام الفعل القلبي الذي ينصب مفعولين على أربعة أقسام: الأول: ما يفيد في الخبر يقيناً، وهو أربعة، (وجد وألغى ودرى وتعلم)... الثاني: ما يفيد في الخبر رجحاناً، وهي خمسة أفعال: (جعل وحجا وعدّ وزعم وهب)... الثالث: ما يرد بهما، والغالب فيه كونه لليقين، وهما فعلان: (رأى وعلم)... والرابع: ما يرد بهما، والغالب كونه للرجحان، وهي ثلاثة أفعال: (ظن وحسب وخال).

والنوع الثاني: أفعال التحويل وهي سبعة: (جعل ورد وترك وتخذ واتخذ ووهب بصيغة الماضي – وصيّر).

أما الاشموني[2] فقد أضاف دلالات جديدة للفعل (جعل) إذ إنّ للفعل (جعل) عنده دلالات مختلفة هي:

١. الاعتقاد.
٢. الإيجاد والخلق.
٣. التحويل.
٤. بمعنى أنشأ.

---

(١) أوضح المسالك: ٢٩٤/١.

(٢) شرح الاشموني: ٢٢١/١.

وذكر السيوطي سبب انتصاب بصيراً في قول الحق تبارك وتعالى: (فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) (الإنسان/٢) بقوله: ((إن (جعل) إن كانت بمعنى (خلق) فهما حالان، ويجوز تعدد الحال وصاحبها مفرد نحو: جاء زيدٌ راكباً ضاحكاً.

وإن كانت بمعنى (صيّر) فقوله: (سميعاً) مفعول ثانٍ وكذلك (بصير)؛ لأنّهما خبران في الأصل، فجاز جعل كلٍّ مفعولاً ثانياً، ويجوز تعدد خبر المبتدأ، فكذلك يجوز تعدد خبر ما دخل عليه ناسخ المبتدأ، ثم يعرب كل واحدٍ منهما مفعولاً ثانياً))(١).

فـ(جعل) عنده تدل على معنيين أحدهما (خلق) وبذلك يحتاج الفعل إلى مفعول واحد. والآخر بمعنى (صيّر) فيتعدى إلى مفعولين.

وقال الزركشي: إن ((جعل من الأفعال المشتركة التي هي أمهات أحداث وهي: فَعَل وعَمِل وجعل وطفِق وأنشأ وأقبل. وأعمّها (فَعَل) يقع على القول والهم وغيرهما: قال تعالى: (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (النحل/٥٠)...))(٢).

وذكر الأصفهاني(٣) الأوجه التي يرد عليها الفعل (جعل) فقال: ومنها ما يجري مجرى صار وطَفِقَ، فلا يتعدى نحو: (جعل زيدٌ يقول كذا) قال الشاعر:

فقد جعلتْ قلوصُ بني سُهيلٍ   من الأكوارِ مرتُعها قريب(٤)

والثاني: يجري مجرى (أوجد)، فيتعدى إلى مفعول واحدٍ نحو قوله Y: (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ) (النحل/٧٨).

ثانياً: الدلالة القرآنية للفعل (جعل)

(١) الأشباه والنظائر: ٢٠٢/٨، ٢١٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٨٢/٤.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ١٩٦–١٩٧.

(٤) الخزانة: ٣٥٢/٩.

بالرجوع إلى كتب إعراب القرآن ومعاني القرآن وتأويل مشكل القرآن والكتب التي أولت الألفاظ القرآنية العناية والاهتمام[(١)] تبين أن لهذا الفعل دلالات ومعاني كثيرة نذكرها على النحو الآتي:

١. التسمية[(٢)]: كقوله جلّ شأنه: (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**) (البقرة/١٤٣) وقوله: **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**) (الزخرف/١٩) فجعلوا هنا بمعنى سمّوا على أحد الأقوال[(٣)] ويشهدُ له قول الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى**) (النجم/٢٧) فالقرآن العظيم قد فسر الآية وبيّنها. ومنه قوله جلّ شأنه: (**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**) (الحجر/٩١). أي: سمّوه وجزؤوه أجزاءً، فجعلوا بعضه شعراً، وبعضه سحراً، وبعضه أساطير الأولين.

٢. الخلق: وقد فرّق الزركشي بين الخلق والجعل بما يأتي:

أ. إنّ الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التصيير كإنشاء شيء من شيء أي: تصيير شيء شيئاً أو نقله من مكان، ويتعدى لمفعول واحد؛ لأنه لا يتعلق إلا بواحدٍ وهو المخلوق.

ب. إن الخلق من عدم سابق حيث لا يتقدمه مادة ولا سبب محسوس، والجعل يتوقف على موجود مغاير للمجعول، ويكون معه المجعول أو عنه كالمادة والسبب ويكون عن علم يقال: خلق الشيء إذا قدّره بعلمٍ ومعرفة وتدبير[(٤)].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: المفردات: للراغب الأصفهاني، والبرهان للزركشي، وكتب الأشباه والنظائر، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروز آبادي، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم فضلاً عن كتب معاني القرآن وإعرابه.

(٢) ينظر البرهان: ٨٢/٤، وبصائر ذوي التمييز: ٣٨٤/٢.

(٣) في الآية الكريمة أقوال أخرى نذكر منها أن جعل هنا بمعنى: اعتقدوا وقال الزمخشري: بمعنى سموا على حين يرى الزجاج أن الجعل هنا بمعنى القول والحكم على الشيء كما تقول: جعلتُ زيداً أعلم الناس أي: وصفته بذلك وحكمتُ به وزاد قائلاً: وجعل تنصب مفعولين بمعنى (صيّر) كقوله تعالى: (**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**) (الفرقان/٢٣). ينظر الكشاف: ٩٨٧، ومعاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٤٠٧/٤

(٤) ينظر البرهان: ١٢٩/٤.

وقد يرد الخلق في معنى الفعل (جعل) في القرآن العزيز من العدم كما تقدم، أو قد يرد بمعنى التحويل من ذلك قوله جلّ شأنه: (**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**) (الأنعام/٩).

وفي قول الحق تبارك وتعالى: (**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ**) (الإسراء/١٢).

تساءل الزركشي بقوله: كيف صحّ استعمال الجعل هنا –أي في الآية المذكورة– مع أن المجعول عنه ينبغي أن يتحقق قبل الجعل مع صفة المجعول كقولنا: جعلتُ زيداً قائماً، وهنا لم يوجد (الجعل) إلا على هذه الصفة، وأجاب عن هذا بما نقل الفرّاء عن العرب أنهم قالوا: أحسنت إليك فكسوتك.

إذ جعلوا الإحسان متقدماً على الكسوة، بدليل العطف بالفاء، وليس ذلك إلا تقدم ذاتي؛ لأنّ الإحسان في الخارج هو نفس الكسوة أو هو معنًى يقوم في النفس ينشأ عنه الكسوة. وكذا الليل والنهار كلاهما جوهر والجواهر متقدمة على الأعراض بالذات.

وقد لاحظ الزركشي أن لفظ (جعل) لا يأتي في القرآن الكريم في الأكثر مراداً به الخلق إلا حيث يكون قبله ما يكون عنه أو منه أو شيئاً فيه محسوساً عنه، يكون ذلك المخلوق الثاني بخلاف (خلق)، فإن العبارة تقع كثيراً به عما لم يتقدم وجوده وجود مغاير يكون عنه هذا الثاني. قال تعالى: (**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**) (الأنعام/١).

قال الزركشي: وإنما الظلمات والنور عن أجرام توجد بوجودها، وتعدم بعدمها[1]. ومثله قوله جلّ شأنه: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**) (المؤمنون/١٢–١٤) ومعنى: جعلنا الإنسان نطفةً: أنّه خلق جوهر الإنسان أولاً طيناً، ثم جعل جوهره بعد

(١) البرهان: ١٢٩/٤.

ذلك نطفةً، والقرار هو المستقر وهو الرحم، ووصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولنا: طريق سائر، أو بمكانتها في نفسها؛ لأنّها مكنت بحيث هي وأحرزت(1).

وكذا قوله تعالى: (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**) (الأنبياء/٣٠) أي: خلقنا. وورد معنى الخلق في قوله تعالى: (**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**) (الزخرف/٣). أي: خلقناه عربياً غير أعجمي إرادة أن تعقله العرب؛ ولئلا يقولوا لولا فُصلت آياته، وفيه معنى التبيين أيضاً أو خلقناه وبيّناه(2).

٣- التحويل أو التصيير: وهي أكثر الدلالات وروداً في القرآن العظيم، وجاءت دلالة التحويل في التنزيل العزيز على قسمين:

أ- التحويل المادي أو الحسي وهو على قسمين أيضاً:

-١- التحول من حالة مادية إلى حالة مادية أخرى قال جلّ شأنه: (**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً**) (البقرة/٢٢)، وقوله: (**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا**) (نوح/١٩)، وكذا قوله: (**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا**) (الأنبياء/٥٨)، وقوله: (**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً**) (القصص/٤١)، وقوله: (**وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا**) (الإسراء/٦)، وقوله: (**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**) (الفيل/٥) أي: صيّرهم.

-٢- التحويل العقلي أو المعنوي: كقوله جلّ شأنه: (**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**) (الكهف/٨)، وقوله: (**فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا**) (هود/٨٢)، وقوله جلّ شأنه: (**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً**) (المؤمنون/٥٠) أي: صيّرناه قال الزركشي: ((لأنّ مريم (ع) إنما صارت مع ولدها (ع) لما خُلق من جسدها لا من أب، فصارا عند ذلك آية للعالمين، ومحال أنه يريد (خلقناهما)؛ لأن مريم لم تُخلق حين خُلق ولدها بل كانت موجودة قبله، ومحال تعلق القدرة. بجعل الموجود موجوداً في حال

---

(١) ينظر الكشاف: ٧٠٤.

(٢) ينظر معاني القرآن: للنحاس: ١١٤١، والكشاف: ٩٨٤.

بقائه[1]. وقد يرد التحويل المعنوي أو العقلي من حالة معنوية إلى حالة معنوية أخرى.

ومثل ذلك قول الحق تبارك وتعالى: (**هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**) (يوسف/١٠٠).

وقد ترد الحالتان المعنويتان على هيأة صورتين كما قال تعالى : (**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**) (الإسراء/٢٩). على حين يرى أبو حيان أنّ ((هذه استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول، وذلك أن البخل معنًى قائم بالإنسان يمنعه من التصرف في ماله، فاستعير له الغل الذي هو ضم اليد إلى العنق، فامتنع من تصرف يده وإجالتها حيث تريد، وذكر اليد؛ لأنّ بها الأخذ والإعطاء، واستعير بسط اليد لإذهاب المال، وذلك أن قبض اليد يحبس ما فيها، وبسطها يذهب ما فيها، وطابق في الاستعارة بين بسط اليد، وقبضها من حيث المعنى، لأن جعل اليد مغلولة هو قبضها، وغلها أبلغ في القبض.

وقد طابق بينهما أبو تمام فقال:

تَعَوَّدَ بَسطَ الكفِّ حتى لو أنه   ثناها لقبضٍ لم تُجبه أنامِلهْ))[2].

٤- الحكم على الشيء حقاً كان أو باطلاً[3]

أما الحق فنحو قوله تعالى: (**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**) (القصص/٧).

أما الباطل فنحو قوله: (**وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا**) (الأنعام/١٣٦).

٥- إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه نحو:

(١) ينظر البرهان: ٨٢/٤.

(٢) ينظر البحر المحيط: ٢٨/٦.

(٣) ينظر مفردات القرآن ألفاظ القرآن: ١٩٧، وبصائر ذوي التمييز: ٣٨٤/٢.

(وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) (النحل/٧٢)، وكذا قوله: (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) (النحل/٨٢)، وقوله: (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) (الزخرف/١٠).

٦- التسوية أو التهيئة.

نحو قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ) (البلد/٨-٩)، وكذا قوله: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا) (الطلاق/٢)، وقوله: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) (الطلاق/٤) أي: يهيئ، والتهيئة: التيسير والإصلاح والأمر مهيئاً أي: ميسراً، ومنه قوله: (وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) (النساء/٧٥).

٧- الاعتقاد.

كقوله تعالى: (وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ) (الأنعام/١٠٠)، وقوله: (وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ) (النحل/٦٢)، وقوله: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) (التوبة/١٩) أي: اعتقدتم هذا مثل هذا.

٨- الإلقاء.

ومنه قوله سبحانه: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) (الرعد/٣) أي: ألقى(١)، بدليل قوله في الآية الأخرى التي علل فيها المراد بخلق الجبال وأبان إنعامه فقال: (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ) (النحل/١٥).

٩- بمعنى (أوجب أو فرض).

كقوله جلّ شأنه: (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا) (البقرة/١٤٣) أي: أوجبنا الاستقبال إليها، وكذا قوله: (مَا جَعَلَ

(١) ينظر البرهان: ٤/٨٧.

ُ ّ الله مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ) (المائدة/١٠٣) أي: ما شرع الله ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا[(١)].

١٠- البناء.

كقوله جلّ شأنه: (ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى) (غافر/٣٦-٣٧)، وكذا قوله: (مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) (الكهف/٩٥).

وفي تفسير الآية الكريمة يقول الزمخشري: ((بفعلةٍ وصناعٍ يحسنون البناء والعمل بالآلات ورَدْماً حاجزاً حصيناً موثقاً، والردم أكبر من السد من قولهم: ثوب مردوم رقاع فوق رقاع قيل: حفر الأساس حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب، والبنيان من زبر الحديد، بينهما الحطب والفحم حتى سدّ ما بين الجبلين إلا أعلاهما، ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صبّ النحاس المذاب على الحديد المحمي، فاختلط والتصق بعضه ببعض، وصار جبلاً صلداً))[(٢)].

١١- جعل بمعنى (فَعَل).

كقوله جلّ شأنه: (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ ّ الله لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً) (يونس/٥٩) جعلتم أي: فعلتم[(٣)].

ويعلق الفيروز آبادي على ذلك بقوله: ((... وفي الجملة يكون بمعنى فَعَل في أصل المعنى، وعلى أيِّ معنى ذكرته، فلا يخلو من معنى الفعل، والجعلُ أعم من الفعل والصنع وسائر أخواتها))[(٤)].

وفي اللسان: جعل الشيء يجعله جَعْلاً ومَجْعَلاً واجتعله وصنعه وجَعَلَهُ يَجْعَلهُ جَعْلاً: صنعه[(١)].

---

(١) ينظر الكشاف: ٣١٢.

(٢) الكشاف: ٦٣٠.

(٣) ينظر الطبري: ٥٧١/٦، والوجوه والنظائر: الدامغاني: ١٥٦.

(٤) بصائر ذوي التمييز: ٣٨٣/٢.

١٢- الإيقاع في القلب والإلهام.

كقول الحق تبارك وتعالى: (**وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً**) (الحديد/٢٧).

١٣- التبديل.

كقوله تعالى: (**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**) (الواقعة/٨٢) أي: إنهم يجعلون شكر النعمة أو شكر رزقهم التكذيب وبذلك فإنهم وضعوا التكذيب ونكران النعمة بدل الشكر، ويعضد ذلك قراءة الإمام علي υ للآية الكريمة: ((وتجعلون شكركم أنكم تكذبون))[٢]، وهناك أكثر من قول[٣] في معنى الرزق هنا الأول: إنه نعمة القرآن الكريم الذي كذبوا به.

الثاني: ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله جلّ شأنه إذ تنسبونه إلى النجوم، ويؤيد هذا المعنى أن سبب نزول الآية الكريمة كان في الأنواء[٤] ونسبتهم السقيا إليها والرزق والمطر[٥].

ومنه أيضاً قوله تعالى: (**فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا**) (هود/٨٢).

١٤- الإعطاء أو الهبة.

كقوله تعالى: (**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً**) (مريم/١٠). أي: – والله أعلم – أعطني أو هب لي علامةً استدل بها على وقوع ما بُشرتُ به، ولعله طلب ذلك؛ ليزداد يقيناً، وليطمئن قلبه كما قال سيدنا إبراهيم υ حين طلب من ربه وسأله

---

(١) ينظر اللسان: مادة (جعل).

(٢) ينظر المحتسب: ٣١٠/٢، والبحر المحيط: ٢١٤/٨.

(٣) ينظر معاني القرآن وإعرابه: ٢٢٩/٤، والكشاف: ١٠٨٠.

(٤) النوء: النجم إذا مال للغروب، والمطر الشديد والعطاء.

(٥) ينظر أسباب النزول: للواحدي: ٣٠٥–٣٠٦.

أن يريه كيف يحيي الموتى فقال له المولى: **(أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)** (البقرة/٢٦٠).

وليس معنى ذلك أنه لم يتوقف عن صدق ما وُعِدَ به، ولا لتوهم أن ذلك من عند غير الله؛ لعصمة الأنبياء υ عن مثل ذلك[1]، بل لإنه أراد أن يعرف الوقت فطلب ذلك. قال الزجاج: ((وقعت البشارة مطلقة، فلم يعرف الوقت، فطلب الآية؛ ليعرف وقت الوقوع))[2].

وكذا قوله: **(وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا)** (القصص/٣٥).

١٥- الموت.

كقوله تعالى: **(مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)** (الأنعام/٣٩).

قال النيسابوري: ومن يشأ الله يمته على الإسلام[3].

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على خير المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين.

(١) ينظر معاني القرآن: للنحاس: ٧٢١/٢، والبحر المحيط: ١٦٧/٦.

(٢) ينظر البحر المحيط: ١٧١/٦.

(٣) كتاب وجوه القرآن: للنيسابوري: ٩٧.

" روافد البحث "

١- أسباب النزول: أبو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري، تحقيق وشرح وفهرسة: سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١م.
٢- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
٣- إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن النحاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.
٥- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
٧- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق ودراسة وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتعليق: محمود أحمد شاكر،دار المعارف، ١٩٥٧م.

٩- خزانة الأدب ولب لباب العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
١٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد الأشموني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٥م.
١١- الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢- كتاب وجوه القرآن: إسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري الحيري، تقديم وتحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
١٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٤- لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.
١٥- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: عبد الحليم النجار وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ١٣٨٦–١٣٨٩هـ – ١٩٦٦–١٩٦٩م.
١٦- معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٧- معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق إبراهيم السري الزجاج، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب
١٨- مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ذوي القربى، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
١٩- المقتضب: صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٢٠- النكت في كتاب سيبويه: لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالاعلم الشنتمري، تحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ط١، الكويت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢١- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز: الشيخ أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، تقديم وتحقيق: عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت.